

الحرب الإسرائيلية على غزة

أحاديث محاربين* (اعترافات جنود إسرائيليين)

هذه مقتطفات من شهادتي جنديين شاركوا في حملة "الرصاص المسبوك"، مأخوذة من محضر جلسة عقدت في كلية رابين الإعدادية التابعة لكلية أورانيم العسكرية بتاريخ 2009/2/13. وقد روى فيها ضباط وجنود من خريجي الإعدادية وقائع من مشاركتهم في الحرب على غزة، وما خرجوا به من انطباعات وأفكار. وما يرد في هاتين الشهادتين (وغيرهما) يؤكد ارتكاب الجيش الإسرائيلي جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، كما يلفت النظر فيهما استهتار الجنود بحياة السكان المدنيين في غزة، والنظرة إليهم جميعاً على أنهم "مخربين"، وكذلك اعتبار كثيرين من المقاتلين الحملة العسكرية حرباً دينية، ودور الحاخامية العسكرية في تلقين الجنود رؤية توراتية للحرب والأعداء، بما ينطوي عليه ذلك من تحريض على القتل والإبادة والطرده، وذلك كله بسماع أو غض نظر من القادة والجهات العليا في الجيش. وقد أدار الجلسة رئيس الإعدادية، داني زمير.

داني زامير: أقترح في البداية أن يروي كل من يريد أن يتحدث، ماذا فعل، وأين كان بالضبط، وأي انطباعات قوي خرج به من تلك الفترة، وأن يصف تجربة استثنائية، أمراً استثنائياً، ذكرى استثنائية، أو إدراكاً خاصاً ألم به في إثر العملية.

أفييف

(اسم مستعار، قائد حاضرة في سرية تابعة للواء غفعاتي)

أفييف: دخلنا مع كتيبة (-) كلها إلى منطقة حي الزيتون جنوبي مدينة غزة نفسها، وهي منطقة تقع بين غزة الجنوبية وغزة الشمالية.
إلى الشمال منا كان المظليون، ونحن كنا في الزيتون.
ماذا فعلنا؟

أفمننا في بيت نحو أسبوع، بيت في المنطقة، وانتظرنا أن تحتل كتيبة دبابات [شاطئ] البحر فنصبح نوعاً من حاجز في وسط غزة، في تلك المنطقة بأكملها، كي لا يستطيع [المقاومون] نقل وسائل قتالية عبر المكان. وما أذكره أكثر من أي شيء آخر، وهو أشد ما أزعجني خلال العملية كلها - أنه قبيل نهاية العملية، كان المخطط أن ندخل إلى منطقة (-) داخل غزة نفسها، داخل المدينة، وهي منطقة مزدهمة جداً بصفوف وصفوف من البيوت. وفي التلقين العسكري لتفصيلات المهمة بدأوا بالتحدث إلينا عن إجراءات إطلاق النار داخل المدينة، وذلك بعد أن أطلقوا، كما تعرفون، كمية هائلة من النيران وقتلوا عدداً كبيراً من الناس كي لا نصاب بجروح، وكي لا تطلق نيران علينا. في البداية كان القصد أن ندخل منزلاً، أن ندخل بألية مدرعة تدعى "إخزاريث/عديمة الرحمة"، أن نقحم باب الطبقة السفلى، وأن نبدأ بإطلاق النار في الداخل، ثم ببساطة أن نصعد طبقة طبقة، وأن... أنا أسمي ذلك أن نقتل... أن ندخل الطبقات واحدة واحدة، ونطلق النار على كل شخص نشاهده. وهذا أمر، قلت لنفسني في البداية، كيف يمكن أن يكون منطقياً؟ جهات عليا قالت إن هذا جائز لأن كل الذين بقوا في هذه المنطقة، وفي داخل مدينة غزة هم مذنبون، هم مخربون، لأنهم لم يهربوا، وهذا ما لم أفهمه في الحقيقة؛ أعني أنه لم يكن لديهم عملياً مكان يهربون إليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يقولون لنا إنهم لم يهربوا، وبالتالي هذا ذنبهم... وهذا أيضاً أخافني قليلاً.

لقد حاولت قدر الإمكان، ومن خلال رتبتي المتواضعة، أن أؤثر في اتجاه تغيير ذلك.

وفي النهاية، أصبح المقصود هو أن ندخل منزلاً، ونستخدم مكبرات صوت، ونقول للموجودين: إن لديكم خمس دقائق كي تهربوا، كي تخرجوا من المنزل، ومن لا يخرج سنقتله.

وأذكر أنني ذهبت إلى جنودنا، داخل حظيرة كبيرة كهذه، وقلت لهم: استمعوا إليّ، الأمر تغير؛ [تقرر أن] ندخل منزلاً، [ونقول لمن هم موجودون فيه إن] لديهم 5 دقائق للهروب، ثم نفتش كل من يخرج واحداً واحداً كي نتأكد أنه لا يحمل سلاحاً، وبعد ذلك نبدأ بدخول المنزل طبقة في إثر طبقة ونطهرها... وهذا يعني أن ندخل البيت ونبدأ بإطلاق النار على مصدر أي حركة، وأن نلقي قنبلة يدوية، وكل ما يلزم. وعندئذ حلت لحظة أذكر جيداً أنني شعرت خلالها بانزعاج شديد - أتى إليّ جندي وقال لي "لماذا؟"، قلت له: "ما هو الأمر غير الواضح لك؟ نحن لا نريد أن نقتل مدنيين أبرياء"، فأجابني "ماذا؟! كل من يوجد هنا هو مخرب، هذا أمر معروف"، قلت له "هل تعتقد أن الناس هنا حقاً سيهربون؟ لن يهرب أحد"، وكان جوابه: "هذا واضح"، وعندها انضم إليه رفاقه: "يجب أن نقتل كل شخص نجده، ما المشكلة؟ كل شخص موجود في غزة هو مخرب، إرهابي"... [وتابعوا مرددين] كل ما تحشوه وسائل الإعلام في الأدمغة... وحاولت أن أشرح للشباب الذي لم يكن في تربيته ما يساعده على فهم أمور كهذه، أن ليس كل من هو موجود هناك هو مخرب، فبعد أن نقتل نحو 3 أولاد، أو 4، ونحو 4 أمهات، ونستمر في الصعود ونقتل نحو 20 شخصاً آخرين، وإذا ضربنا 8 طبقات بـ 5 بيوت في كل طبقة، سنكون قد قتلنا 40 - 50 عائلة على أقل تقدير. وحاولت أن أشرح له لماذا لا ندخل البيوت إلا بعد أن نعطي الموجودين فيها فرصة للخروج، فقط بعد ذلك ندخلها، لكن ذلك لم يجد نفعاً، فالجنود في الحقيقة لا يدركون ذلك. وقد أصابني بالإحباط إدراكي أنه في داخل غزة مسموح لك أن تفعل ما تشاء - أن تحطم أبواب المنازل فقط لأن ذلك يحلو لك، وأنه إذا ما ذهبت إلى جندي وقلت له: "لماذا تكسر صورة العائلة، إنها لا تزعجنا، هذا ليس ضرورة عملانية، لا يوجد سبب"، يقول لك: "لأنهم عرب، ولا ضرورة لأن يكون هناك سبب". وأنت لا تشعر، سواء من ناحية الجهات المسؤولة عنك، أو من ناحية الضباط، بأن وراء ذلك أي منطق، لكنهم لا يقولون شيئاً.

سأروي لكم حكاية نموذجية: أحد ضباطنا، قائد سرية، ومسؤول عن 100 جندي، شاهد امرأة تسير في أحد المحاور، على مسافة بعيدة إلى حد ما، لكن كافية لأن تمكّنك من أن تقتل من تشاهده. أنا لا أعرف القصة بكاملها، لكن هذه هي تقريباً التفاصيل: كانت تسير في المحور امرأة عجوز طاعنة في السن. هل كانت مشتبهاً فيها، غير مشتبه فيها، لا أدري ولا أعرف عن أمرها شيئاً... وما فعله [الضابط] في المحصلة هو أنه أمر أشخاصاً بالصعود إلى السطح والتعاون مع القناصة (أشخاص لإطلاق النار من مسافة بعيدة) على قتلها. لقد شعرت، تجاه ما وصفته في هذه الحكاية، بأن ذلك كان ببساطة، قتلاً بدم بارد.

داني زامير: لم أفهم. لماذا أطلق النار عليها؟

أفيغ: هذا ما هو جميل في غزة على ما يبدو - أن ترى شخصاً على محور، ماراً في الطريق، ليس بالضرورة أن يكون معه سلاح، وليس بالضرورة أن تشاهده يحمل سلاحاً، ومع ذلك تستطيع بكل بساطة أن تطلق النار عليه. في حالتنا، كانت تلك امرأة طاعنة في السن، لم أشاهد معها سلاحاً عندما نظرت إليها. الأمر كان أن تقتل الشخص، هذه المرأة، فور رؤيتها.

هناك تحذيرات جمّة، دائماً هناك تحذيرات، وهناك القول: "يمكن أن يكون مخرباً انتحارياً". ما شعرت به هو أننا كنا جمهوراً متعطشاً للدم.

رام

(اسم مستعار، لواء غفعاتي)

رام: كان هناك بيت وجدنا فيه عائلة. دخلت فصيلتي، وكان الدخول هادئاً نسبياً. لم نقتحمه بالنيران، وإنما طلبنا من العائلة ببساطة أن تنزل إلى الأسفل، ووضعناها في غرفة، وبعد ذلك غادرنا، ثم دخلت البيت فصيلة أخرى. وبعد أيام من دخولنا، صدر أمر بإطلاق العائلات. على السطح كان هناك موقع قناصة، وقد أطلق قائد الفصيلة أفراد العائلة وقال لهم أن يتجهوا يمينا، فلم تفهم امرأة وطفلاها ما قيل لهم واتجهوا إلى اليسار. ونسوا [المعنيون] أن يقولوا للقناص على السطح أنهم سيطلقون العائلة، وأنه مسموح لها بالمغادرة، وإن عليه ألا يطلق النار، وهو... يمكن القول إنه تصرف كما يجب، كما أعطيت له الأوامر...

داني زامير: توقف! لم أفهم، لم أفهم...

رام: العائلة كانت داخل البيت، وكان هناك قناص على السطح، ورأى هذا امرأة وطفليها يقتربون منه عبر الخطوط التي قيل له إن أحداً لا يجوز له أن يقترب منها، فأطلق عليهم النار مباشرة. لا أعرف إن كان أطلق على الأرجل، أو قريباً منها، لكن في المحصلة قتلهم جميعاً.

داني زامير: كيف شعر بعد ذلك؟

رام: لا أعرف، لم يتح لي أن أتحدث معه. لا أعتقد أنه شعر بأسف كبير جراء ذلك، لأنه من ناحيته، قام في المحصلة بعمله وفقاً للأوامر التي أُعطي إياها. وبصورة عامة، الجو السائد لدى أغلبية من تحدثت إليهم... لا أعرف كيف أصف ذلك... هو أن حياة الفلسطينيين... أقل أهمية كثيراً جداً جداً من حياة جنودنا، وبالتالي هم يبررون ما حدث.

داني زامير: كم كانت المسافة بينه وبين الأم والطفلين؟

رام: لا أعرف بالضبط، أعتقد أنها كانت بحدود 100 متر تقريباً. سأحدث قليلاً عن انطباعات، أو مشاعر عميقة، خرجنا بها. قالوا لنا كثيراً إن الهدف هو الخروج بنتيجة ما واقعية جداً، لا "تقويض (حماس) وإحلال جهة ما أخرى مكانها"، وإنه ليس هناك أي شيء مستحيل من الناحية العسكرية. دخلنا [غزة]... وما أتذكره، وخصوصاً في البداية، هو الإحساس أن هذه تقريباً هي مهمة دينية. الرقيب عندنا هو "باينيش" [جندي متدين يخدم في يشيفات هسدير] وقد جمع الفصيلة كلها قبل أن ندخل، وصلى صلاة الخارجين إلى المعركة. وكان هناك أيضاً حاخام الكتيبة الذي دخل غزة بعد ذلك، وتجول بيننا، وربت على أكتافنا وشجعنا، وصلى مع الجنود. وطوال فترة العملية ونحن في الداخل، أرسلوا لنا كتيبات صلوات مملوءة بالمزامير، طناً من المزامير، وأعتقد أنه كان في وسعنا أن نملأ بكميات المزامير التي أرسلوها لنا، غرفة بحالها في البيت الذي مكثنا فيه أسبوعاً... وكان الفارق هائلاً بين ما أصدره سلاح التثقيف عامة، وما أصدرته الحاخامية العسكرية خاصة. لقد أدخلت هذه الحاخامية كثيراً جداً من المضامين والكتيبات والمقالات، وكانت رسالة المقالات جميعها واضحة جداً - نحن شعب إسرائيل، جئنا إلى البلد بمعجزة، الرب أعادنا إلى البلد، والآن علينا أن نكافح لإزالة الغوييم (الأغيار) الذين يعيقون احتلالنا الأرض المقدسة قليلاً أو كثيراً... هذه هي الرسالة الأساسية. وكان مجمل الشعور السائد طوال هذه العملية لدى عدد كبير جداً من الجنود، أن هذه حرب دينية. ■

(*) **المصدر:** "بريزاه"، ملحق خاص صدر في إثر عملية "الرصااص المسبوك"، آذار/مارس 2009، ص 1 - 5. والمصدر نشرة تصدرها كلية رابين الإعدادية التابعة لكلية أورانيم العسكرية. **ترجمة:** أحمد خليفة.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx